خطر الرخاء

(مرقس ١٠:١٣-٣١)

تأليف: جو شوبيرت

يبدأ نص درسنا هذا بحدثين معروفين لدينا. الحدث الأول هو يسوع يبارك الأطفال؛ والحدث الثاني هو قصة الشاب الغني.

رغم أن مرقس البشير ربط هذين الحدثين معاً، فمن النادر للمبشرين أن يربطوهما. نكاد أن نبشر دائماً موعظتين مختلفتين عن هذين الحدثين. ولكن تنتمي هتين الفقرتين إلى بعضهما البعض. انهما تتناسخان بصورة جميلة. نتعلم من هتين القصتين شيء عن ما يفعله لنا الغنى والثروة وامتلاك الماديات.

١. توضيح (مر١٠:١٣-١٦)

تبدأ قصة مباركة الأطفال بإنجيل مرقس ١٠:١٣:

> قدموا إليه أولاد لكي يسلمهم. وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم. فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يده عليه وباركهم (مر ١٠:١٣-١٦).

يحب الرسامون رسم هذا المشهد من حياة يسوع. بتصوير بسيط، يمكن أن تتصور ما حدث في هذه المناسبة. كان يسوع محاطاً بالأطفال، وربما كان طفل جالساً في حضنه يلعب وطفلة خجولة تقف بجانبه تنظر حزينة إلى الأعلى في عينيه.

انه مشهد رائع حقاً يخبرنا الكثير عن يسوع نفسه. كان يسوع شخصا يهتم بالأطفال، وكان الأطفال ينجذبون إليه. انه لم يكن شخصا صارما ومتجهما. كان سهل الإبتسامة ورائع الضحكة.

كتب مرقس بانه عندما كان الناس يأتون بأطفالهم ليسوع، انتهرهم التلاميذ. لا يوضح الكتاب المقدس لماذا انتهر التلاميذ أولئك الناس، ولكن يبدو انهم شعروا بان عليهم ان يجعلوا أولئك الأطفال على مسافة من يسوع بسبب الإزعاج الذي يسببه الأطفال عندما يحدثهم ويضع يده عليهم. ولكن أغتاظ يسوع بسبب أفعالهم. وأنّبهم على ذلك رسمياً؛ حيث قال في الآيتين ١٤ و ١٥ ما يلي:

> فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم، دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم. لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله.

لم يوضح يسوع بالضبط قيمة الأطفال كما كان يعتبرها عندما نطق بعبارته العظيمة. خمن المعلقين تخمينات كثير عن ما كان يعنيه يسوع عندما نطق بعبارته هذه. انه تركه إلينا بكل وضوح لنكتشف المميزات بطريقتنا الخاصة عندما نراقب الأطفال.

لكل طفل ثلاث صفات مشتركة وهذه جعلت الأطفال مثال مطلق لما كان يوضحه يسوع عن الذين يدخلون ملكوت الله. الصفة الأولى والأكثر وضوحاً هي انهم بسطاء بصورة جميلة. الطفل أساساً غير معقد. انهم لا يلفون حول الموضوع. «قد يأتي إليك طفل ويقول ماذا

بانفك انها تبدو عجيبة؟» أو «ما الذي جعل أذنيك كبيرتين بهذا القدر؟» أو «لما صرت سميناً هكذا؟» انه يذهب إلى أعماق ما يريد معرفته. انه سهل وغير معقد ومستقيم. قد يكون ذلك فضيلة حقيقية.

الطفل أيضاً يمكن تعليمه. يريد كل طفل ان يتعلم. يدرك الأطفال حاجتهم الأساسية للمساعدة والتوجيه، انهم مرنين ومن السهولة صياغتهم.

الوثوق بالأطفال أمرا طبيعيا إلا إذا دربته على غير ذلك. يستجيب الطفل طبعياً. يستجيبوا على ما علمومهم به، ويستجيبوا عادة من غير إبطاء وحالاً لأنهم يثقون في الذي يعلمهم.

لابد بان هذه الصفات الثلاث على الأقل كان يفكر بها يسوع عندما قال من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله.

٢. تظاهر (مر ١٠:١٧-٢٣)

يقول إنجيل مرقس ١٠:١٧ مايلي: «وفيما هو خارج إلى الطريق، ركض واحد وجثا له وسأله، أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» نطلق على هذا الشاب، الشاب الوالي الغني. يجب ان نضع معاً ما يدونه الأناجيل الثلاثة عنه، لكي نعلم ما نوع الإنسان الذي كان هو. يخبرنا ثلاثة أناجيل بما فيها إنجيل مرقس بان هذا الإنسان كان غنياً. ويخبرنا متى بانه كان شاباً؛ ويخبرنا لوقا بانه كان والياً. وعندما نضع هذه الثلاث معاً نعلم أنه كان شاب ووالي وغني.لاحظ كيف جاء إلى يسوع. جاء راكضاً إلى يسوع وجثا عند قدميه. هذه بالحقيقة صورة عجيبة – شاب غني ووالي من طائفة النبلاء يركض إلى يسوع. يرمي نفسي عند قدمي نبي من الناصرة لا يملك فلساً، والذي كان في الطريق إلى الصلب! كان أول سؤال للشاب هو، «أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟»

يبدو بان هذا الشاب كان له علم مسبق ومعرفة بيسوع. ربما كان من بين الجموع في الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس عندما أجاب يسوع على سؤال الفريسيين عن الطلاق. ربما رأى أيضاً يسوع يبارك الأطفال. ربما كان حاضراً عندما وبخ يسوع التلاميذ لتدخلهم حيث قال إن لا تصبح مثل واحد من أولئك الأطفال، «فلا تظن بانك تدخل ملكوت الله.»

قد أستيقظ شيء في قلب هذا الشاب عندما كان يستمع. عندما رأى المسيح قد بدأ بالذهاب، ركض وراءه وجثا عند قدميه وقال له بما مضمونه، «حسناً أيها الرب يسوع، كيف تدخل ملكوت الله؟ فقد قلت إن لا أقبله كطفل فلن أدخله. والآن أسألك كيف تفعل أنت؟ ماذا أصنع لكي أرث الحياة الأبدية؟»

لا يستطيع أحد أن يقرأ هذا النص دون أن يرى هذا الشاب الوالي، أو مهما كان، يملك على الأقل واحدة من تلك الصفات التي للأطفال. دخل حالاً في الموضوع. كان احساسه للحاجة قد استيقظ ولم يعد ينتظر. جاء إلى يسوع تواً ومن غير معاكسة، وتفوه بما في قلبه من هموم دون ان يلف ويدور حول الموضوع. قال، «يا رب أريد أن أعرف ما يجب عليّ ان أفعله لكي أرث الحياة الأبدية» (آية ١٧).

لاحظ إجابة المسيح في الآية ١٨: «فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله.» هذه الإجابة قد حيرت كثير من الناس. انقسم المفسرين في تفسير هذه الإجابة. وقرر المفسرين الأكثر ليبرالية (الغير متعصبين) بان هذا هو الحدث الذي فيه اشار يسوع قائلاً، «اني لست الله، ولا ينبغي ان تخاطبني على أني الله.» أثباتاتهم لذلك هي كالآتي: قال يسوع، لماذا تدعني صالحاً؟ الله وحده هو الصالح. وإني لست الله وبالتالي لست صالحاً، ولا ينبغي أن تخاطبني كمعلم صالح. لا أومن بان ذلك ما كان يقوله يسوع. ما كان يقوله يسوع لهذا الشاب هو: «أيها الشاب، قد دعيتني صالحاً. انت خاطبتني كمعلم صالح. هل تعلم حقاً ما هو الصلاح؟ هل تعلم بان ليس أحدا صالحا إلا الله وحده؟ هل تفهم مضمون ما قلته لي؟ هل تعلم بانك إن دعيتني صالحاً تكون قد دعيتني الله؟» هذا التفسير يتفق مع كل ما نسمعه من يسوع في الأناجيل عن ما

يقوله عن نفسه.

من الواضح بان يسوع كان يمتحن هذا الشاب بدقة، يبحث ليرى ما إذا كان يرغب ان يتعلم. أي بعبارة أخرى، كان يبحث ليرى هل يملك الصفة الثانية التي يملكها الأطفال، قابل للتعليم. كان يسوع يقول: «هل انت قابل للتعليم؟ هل ترغب لتبحث عن مضامين السؤال الذي سألتني به قبل قليل؟ هل ترغب ان تعتبرني كالله؟»

ثم مضى يسوع ليمتحنه على صفة أخرى يملكها الأطفال. «قال يسوع هل تثق فيّ تماماً بحيث تفعل ما أقوله؟» تقول الآية ١٩ ما يلي «أنت تعرف الوصايا لا تزن؛ لا تقتل؛ لا تسرق؛ لا تشهد بالزور؛ لا تسلب؛ أكرم أباك وأُمك؟» فأجاب الشاب الغني وقال «يا معلم، هذه كلها حفظتها منذ حداثتي» (آية ٢٠). لاحظ بان يسوع لم يقل لهذا الشاب، «حسناً، لا أصدق بانك تتساوي معي. اني واثق بانك تخبيء عني شيء. لا أصدق بانك حفظت كل تلك الوصايا منذ حداثتك.» لم يشير يسوع في أي مكان في هذا السجل بان هذا الشاب كان يكذب على نفسه. قبل يسوع اجابته بناءاً على القيم ولم يسأله عنها بعد.

ليس من العجب ان يمضي مرقس البشير في الجملة التالية ليقول: «فنظر إليه يسوع وأحبه...» انه كان شاب طيب القلب، رائع، حسن الخُلق، ممتاز وخاضع. نظر إليه يسوع وسمع اجابته واحبه لأن هذا الشاب الغني كان يملك حقاً هذه الصفات لتجعله مؤهلا بالدخول إلى ملكوت السموات.

كان ليسوع كلمة واحدة أخرى ليقولها له. قال في الآيتين ٢١ و ٢٢ ما يلي:

> يعوزك شيء واحد؛ اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملاً الصليب. فاغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة.

كان يسوع يقول: «يا أيها الشاب انت تملك بالتمام الصفات المطلوبة لتدخل ملكوت الله. انت صريح ومباشر وصادق. انت قابل للتعليم. انت مطيع. لنرى كم من تلك الصفات لا تزال تحفظها في حياتك. هل ما زلت مستعد للخضوع؟ هل ما زلت تثق فيّ؟ هل ترغب ان تثق فيّ لتخضع لوصية واحدة أخرى؟ ما بعد الحد الذي ترغب ان تمضي إليه؟ اذهب وبع كل مالك وأعطي الثمن للفقراء. وبعدئذ تعال واتبعني.» علم يسوع بان إذا كان لهذا الشاب ان يتلقى مساعدة كان عليه ان يُسحق أولاً. وجد يسوع طريقه إلى لُب المشكلة التي كانت لذلك الشاب، الا وهي ثروته. في الحقيقة كان يسوع يجعله يلاحظ السؤال الضروري والأساسي: «كم ترغب حقاً في الحياة الأبدية؟ فقد سألتني، صماذا أعمل لأرثها؟ص والآن أسألك، هل ترغب فيها حقاً؟ هل ترغب فيها بحيث تستطيع ان تعطي كل ما هو لك؟» كان للشاب ان يجيب: «نعم، أريدها، ولكن لا أريدها بذلك المقدار.» لهذا رجع إلى الوراء ومضى حزيناً. عندما كان عليه ان يختار بين الحياة الأبدية في العالم الآتي والحياة الرائعة هنا وفي هذا الوقت، اختار الأخيرة. إختياره ليس صعبا علينا فهمه لأن هناك ملايين من الناس يختارون الخيار نفسه يومياً.

مضى الشاب الغني. لاشك ان انظار يسوع والرسل الذين شهدوا كل هذا استقرت عليه كما كان يمضى حتى اختفى عن الأبصار على مسافة. فنظر يسوع حوله إلى الرسل وقال لهم في الآية ٢٣ «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله!» وأضاف مرقس البشير هذه العبارة «فتحير التلاميذ من كلامه» لماذا؟ لماذا تحير التلاميذ من كلمات يسوع هذه؟ لماذا كانت مثل صاعقة؟ انها كانت ثورية لسبب واحد بسيط: ما قاله يسوع عن الغنى كان معاكساً تماماً للظنون السائدة عند اليهود عن الثروة والممتلكات المادية. كان الأعتقاد السائد في المذهب الاخلاقي عند اليهود في القرن الأول وعلى مر العصور هو ان الممتلكات والثروة والغنى وكل الخيرات المادية هي بركة من الله، وتعبر عن تقدير الله لحياة الإنسان. والغني يظهر بخلال غنيه بان حياته وخلقه وفضائله صدقها الله وباركها. وبعيداً عن ان

يروا الغنى كمشكلة، رؤا الغني في حياة الشخص كدليل لصفة ممتازة. وعوضاً عن صعوبة دخول الغني في ملكوت الله، قال الرسل، كسائر اليهود بان، «كلما زاد غنى الإنسان، كلما اتاحت له أفضل فرصة لدخول ملكوت الله؛ لأن كلما تحسن الشخص كلما سهل له الدخول.» قلب يسوع هذه النظرية رأساً على عقب، فتحير التلاميذ من كلامه.

٣. التطبيق (مر ١٠:٢٣-٣١)

استمر يسوع يدفع بالتعليم. انه ضغط عليه بقوة عظيمة بعبارته في القسم التالي:

> يا بَنِيَّ ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى مَلكوت الله! مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني في ملكوت الله. فبهتوا إلى الغاية قائلين بعضهم لبعض فمن يستطيع أن يخلص؟ فنظر إليهم يسوع وقال عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله. لأن كل شيء مستطاع عند الله (الآيات ٢٤-٢٧).

من المهم عند التعامل مع هذا النص ان نفهم بان يسوع حذر من الإتكال على المال ومحبته. يمكن للرجل أو امرأة ان يكون غني دون ان يتكل على المال أو يحبه كما فعل الشاب الحاكم. بغض النظر عن ما يقتبس عادة، لا توجد هناك آية في الكتاب المقدس تقول بان المال أصل لكل الشرور. ما يقوله الكتاب المقدس هو ان محبة المال أصل لكل الشرور (تيموثاوس الأولى ٦:١٠). هناك مجال واسع من الفروقات بين تلك العبارتين. بعد بضع آيات مضى بولس الرسول ليوسع ما كان يريد توضيحه. قال في الآيات ١٧-١٩ ما يلي:

> أوص الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يسلكوا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للمتع. وأن يصنعوا صلاحا وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع. مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية.

النقطة هي: هل ننظر إلى ممتلكاتنا كأنها ملك الله أم ملكنا؟ اتكالنا وإيماننا ليس على هذه الخيرات المادية. إذا ما تبددت الخيرات عنا، فإيماننا به لا يتبدد، لأن إيماننا هو فيه، وليس في الغنى الذي أعطانا اياه. وضعه أحد المعلقين بهذه الطريقة: قد يكون للإنسان ثروة عظيمة، ويحب الله أكثر من الثروة، ويكون مسيحيا، كما قد يكون للإنسان الفقير القليل ويحب ذلك القليل أكثر من محبته لله ولا يكون مسيحي أبدا.

ومع ذلك، تشتد التجربة على من يملك الغنى للإتكال عليه. لم يرى أحد قط خطر الغنى كما رآه يسوع. يؤدي إمتلاك الماديات إلى ربط قلب الإنسان في هذا العالم. له دعم مالي كبير في هذا العالم؛ وتكون له رغبة عظيمة في هذا العالم من أجل الكنز الذي يملكه في العالم. انه يجد الصعوبة في التفكير إلى ما بعد هذا العالم. يصعب عليه التفكير إلى ما بعد هذا العالم وأيضا لا يستطيع التفكير في المغادرة من هذا العالم. أمتلاك الممتلكات المادية هو امتحان حاسم للكثيرين. يقال بان في كل مئة انسان من الذين يصمدون في امتحان الشدة، لا يستطيع واحد منهم الصمود لإمتحان الغنى. يمكن للغنى أن يحول الإنسان سريعا إلى انسان متكبر ومغرور ومكتفي ذاتيا. تحدث يسوع في وقت سابق في الإنجيل عن خداع الغنى، اشار إلى الطريقة التي يخلق بها الغنى توهمات غير حقيقية وتجعل الذين يملكونه يظنون بانهم شيء ما في حين أنهم ليسوا كذلك. يتطلب أنسانا صالحا ليتمكن من التعامل مع الثروة.

تكلم يسوع بوضوح ومفعم بالحيوية. قال «من السهل للجمل أن يدخل من ثقب إبرة من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله.» اقترح قليل من المعلقين بان هذا النص يشير إلى باب صغير في أحد حوائط مدينة أورشليم سمي في أحد المرات في التاريخ بباب ثقب الإبرة، كان يبلغ ارتفاعه ٤ قدم. يمكن للجمل ان يدخل من خلال هذا الباب بصعوبة كبيرة. كان عليه أن يبرك ويضغط نفسه شيئا فشيئا خلال ذلك

الباب الصغير. ولكن من الشك أن يسوع كان يتكلم عن ذلك الباب. ليس هناك أي دليل تاريخي يشير بان ذلك الباب الصغير في أورشليم قد سمي بباب ثقب الإبرة في زمان يسوع المسيح. قد سمي بذلك في وقت لاحق، ولكن ليس في زمان يسوع. كان يسوع يتكلم عن إبرة حقيقية. قد يجعلها أحدا إبرة كبيرة إذا شاء، ولكن المقصود بها هي إبرة حقيقية. كما تتصور جمل ذو سنامين يحاول أن يضغط بنفسه ليمر من خلال ثقب إبرة كبيرة متدلية، تحصل على الصورة التي يحاول يسوع ان يفهم بها الرسل.

هذا ما فسره الرسل كما وضح في استجابتهم. ما هي استجابتهم؟ قالوا «حسنا يا يسوع، إن كان الأمر هكذا، فمن يخلص؟»

أعترف يسوع بالصعوبة عندما قال: «عند الناس غير مستطاع. ولكن ليس عند الله. لأن كل شيء مستطاع عند الله.» الله غير محدود بمؤهلات بشرية. الله وحده يستطيع ان يجعل الغني يتخلى عن الإتكال على غناه ويثق بالله. كما قال أحد الكُتاب، «يمكن ان يمرر الله الجمل {من ثقب إبرة}، ولكن هذا يكلف قوة إلهية لتفعله وتراقبه ويكون الإجراء صعب جدا على الجمل.»

إذا جاء إنسان غني إلى المسيح، لا بد أن يأتي بالطريقة نفسها كما يأتي بها أفقر إنسان على الأرض. ينبغي أن يأتي بتسليمه الكلي وبكل حاجة. ينبغي أن يأتي كخاطي مدان عليه.

كان تفكير بطرس منشغلا خلال كل هذا، ولم يستطيع لسانه ان يمتلك السكون، فهوذا قد رأى إنسان، الشاب الوالي الغني، تعمد برفض يسوع ومضى. وقد سمع الرب يقول بتعليمه بانه صعب للأغنياء دخول ملكوت الله. لا يمتلك بطرس إجراء تباين بين هذا الشاب وبين مجموعة الرسل. فانه وأصحابه قد قبلوا دعوة يسوع وقد تركوا كل شيء ليتبعوه. قال بطرس بصراحة خالصة والتي يوصف به دائما: «الأن يا رب يسوع، أريد أن أعلم ما سنحصل عليه من هذا!» يقول مرقس البشير في الآيات ٢٨ إلى ٣١ ما يلي:

> وبدأ بطرس يقول له، ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل، إلا ليأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وإخوة وأخوات وأُمهات وأولادا وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية. ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين والآخرون أولين.

لا يستطيع أحد أن يعطي لله شيء لا يرده له الله مئة ضعف. إن تركت شيء واحد لإلهك – إن كانت أُسرتك أو أمك أو أبوك أو ممتلكاتك أو أراضيك، مهما كان – يقول الله، «أرده مئة ضعف.» أضاف يسوع بندين في هذا الوعد. البند الأول هو انه ذكر الاضطهادات. إذ قال «سأوفي بوعدي، ولكن ستكون اضطهادات عند المسار.» هذا يشير مرة أخرى إلى أمانة يسوع. انه لم يعد أبداً بانه من السهل ان تصير مسيحياً. انه اخبر الناس بان القرار ليتبعوه سيكون مكلفاً.

البند الثاني الذي أضافه يسوع هي الفكرة عن الدهر الآتي. انه ذكر قائلا «مئة ضعف في هذا الزمان وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية.» لم يعد يسوع أبداً بانه في زمان هذا العالم سيكون تسديد الحسابات. يسدد الله جزء من حساباته هنا وفي الوقت الحالي. هناك بركات تأتي إلى الإنسان المسيحي في هذا العالم. ولكنه يرجيء الآبدية كلها، «الدهر الآتي،» كما قاله يسوع ليسدد دفتر الحساب كله.

تنتهي هذه المحادثة بكلمة تأكيد للرسل. إذ قال، «ولكن كثيرون أولون يكونون أخرين؛ والآخرون أولين.» لا ينظر الله كما ينظر الإنسان. قد يكون الشاب الذي أتى إلى يسوع وسأل، قد يكون والي في هذا العالم، ولكن قال يسوع بان الذين يقفون باخلاص معه سيملكون في الدهر الآتي. في أحد هذه الأيام سيمضي كل الذين هم في الخطوط الأمامية، وكثير من الآخرون على حسب تقدير العالم سيجعلهم الله أولين.

الخلاصة

نحن نحتاج إلى هذا الدرس بصفة خاصة،

يتمتع بعضنا ببيوت رائعة وسيارات كبيرة وملابس زاهية وكل وسائل الترف واسبابه أكثر مما يحتاجون إليه، فلا بد أن نذكر جميعنا بان المكان الأول في حياتنا هو لله القدير. لا بد أن يكون ملكوته الأمر الأساسي الذي نهتم به في قلوبنا. البركات المادية التي تمثل جزء من حياتنا لا يجب أن تكون أبداً قلب ومركز عبادتنا.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧